الدراسات والبحوث



الاستشراق الإسباني

د. محمد يحيى خراط ❀

لا يغربَنَّ عن بالِ المتتبعِ للمستشرقينَ وأعمالِهم أن ثمةَ فروقاً واضحةً بينَ أعمالِ المستشرقينَ الإسبانِ وأعمالِ المستشرقينَ الأوروبيينَ الآخرينَ. فالوجودُ العربيُ الإسلاميُ في الأندلسِ لمدةِ ثمانمئةِ عام تقريباً أثَّرَ بشكلٍ واضحٍ وجلي في طريقة تفكيرِ الإسبانِ: عامتِهم وخاصتِهم وعلمائِهم. فهم يعترفونَ بشكلٍ صريحٍ أن العربَ قد أثروا في ثقافتِهم وعاداتِهم وتقاليدِهم وكانَ لهم آثارٌ باقيةٌ على مرِ الأيام، قصورٌ وجسورٌ ومدنٌ، ومخطوطاتٌ تحكي قصةَ الحضارةِ العربيةِ التي ازدهرَتْ في إسبانيا.

❀❀ باحث في التراث العربي - وزير سابق.

العمل الفني: الفنان جورج عشي.

لقد حاولَ كُلٌّ من فرديناند وإيزابيلا[١] مسحَ الحضارةِ العربيةِ الإسلامية من إسبانيا، ولكنّ أينَ يختفي قصرُ الحمراءِ الذي يؤمُّهُ آلافُ الزوّارِ في كلّ يوم حتى الآن، وأين تختفي آثارُ اشبيليا وقرطبةَ التي تشهدُ بأن العربَ كانوا هناك ذوي حضارةٍ وعلمٍ وأدبٍ وفلسفةٍ. وهل يمكنُ لأحدٍ أن يمحوَ آلافَ المخطوطاتِ لابنِ رشدٍ وابن باجه والزهراوي وابنِ زهرٍ.. وغيرِهم في الطبِ والصيدلةِ والفَلَكِ والفلسفةِ والرياضياتِ، وأن يضربَ صفحاً عن أشعارِ ابن زيدونَ وابن حمديسَ وأبي البقاء الرندي وغيرهم ممنْ نظموا شعراً غنائياً وحماسياً وغزلياً وألّفُوا في المديحِ والهجاءِ. ونظّمُوا الموشحاتِ التي لا تزالُ شاهدةً على مرحلةٍ زاهيةٍ من تاريخِ الأندلس..؟!

لكن.. مع ذلك يبقى الإسبان والمستشرقونَ الإسبانُ حائرينَ بين انتمائهم لبلدِهم بكلِ آثارِه العربيةِ وبينَ انتمائِهم لأوروبة التي رفضَتِ الوجودَ العربيَ في الأندلسِ بكلِّ إشكالِه.

فالمقابلةُ القديمةُ: أوروبة X الإسلام لا تزالُ تحتفظُ بطبيعتِها غيرِ القابلةِ للاختزال. ففي فرنسا كان مونتسكيو[٢] يردّدُ في كتابيه «رسائلُ فارسيةٌ» و«روحُ القوانين» عباراتٍ مثل «التعصب» و«الفساد» و«الفظاظة المتقنة» و«الجمود» و«انعدام العقلانية» و«العنف الدموي الأعمى» وأن هذهِ الصفاتِ جميعَها في نظرِ هذا المؤلفِ هي بعضُ ثمارِ الدينِ الإسلاميِّ(!). لكن هذه الصفات -الشتيمةُ لا نجدُها عند مونتسكيو فقط بل نجدُ مَنْ يرددُها من بعضِ مؤلفي الموسوعاتِ وبعضِ أعلام الاستشراقِ، حتى إنها أصبحَتْ جزءاً من «المواضيع الفكرية» الأثيرةِ في الفكرِ السياسيِّ الاجتماعيِّ الأوروبيِّ في القرنِ التاسعَ عشرَ، ونستطيعُ القولَ إنه لم يُفلِتْ من هذه الادعاءاتِ أحدٌ من مفكري الغربِ، لا هيغل[٣]، ولا ستيوارت ميل[٤]، ولا حتى ماركس[٥] نفسُه. وفي الموسوعة «لاروس» نجد أن مفردةَ «مستبد».. «لا تشكل لدى الشعوب الشرقية صفةً جارحةً كما عندَنا.. وإن العقليةَ المنسوبةَ لهذهِ الشعوبِ والمتميزةِ باللامبالاةِ والانغلاقِ والخمولِ، هذه الأشياءُ التي تفسرُها دائماً بتعبيراتِ قدرية.. إن هذهِ العقليةَ لا تشملُ الشرقَ كلَّهُ، وإنما هي موروثُ هذه الشعوب المسلمة التي بعد أن عرفَتْ فترةً من الرقيِّ، عادَتْ وسقطَتْ في طورٍ من الانحطاطِ، ويبدو أنَّهُ لا نهايةَ له ولا شفاءَ منهُ».

وفي إسبانيا لا يزالُ الإسلامُ موجوداً في مخيلةِ الإسبانِ، ولكن على شكلِ استعمارٍ أجنبي، ويحتلُ عند مفكريها وعامتها مكانةً

مركزيــةً قويــةً تشــدُّ انتبــاه المراقبِ حتى السطحيِّ لِما يكتبُهُ المستشرقون الإسبانُ عن الشرقِ. فالمسلــمُ سواءً أكان عربياً أو تركياً، مــن الجزيرةِ العربيةِ أو منْ بــلادِ الشام أو مــنْ شمالِ أفريقيا يتبــدى في مخيلةِ معظمِ الكُتّــابِ الإسبانِ في وجــوهٍ عديدةٍ، فهو إما يثيرُ الذعــرَ -أحياناً- أو الشتيمــةَ أحياناً أخرى. ومع ذلك فهو يغذي أساطيرَ الإسبانِ وأعمالَهــم الخياليةَ وهو أيضاً مصدرُ إلهامٍ لقصائدِهــم وأغانيهــم، وشخصيةٌ محوريةٌ لرواياتهم ومآسيهم، ومنعشٌ قويٌّ لخيالهم.

وإن الجاذبيــةَ التي يفرضُهــا الإسلامُ على الكُتّابِ الإسبانِ ترجُع إلى جملةِ عواملَ وظروفٍ تاريخيةٍ استطــاعَ المفكرُ الإسبانيُ مانويل غارثيا مورانته أن يشخصَها بوضوحٍ ودقــةٍ سبقتْ بهما الاستنتاجاتِ التي سَيُعَبَّرُ عنها فيما بعدُ، وبشكلٍ مختلف، كتّابٌ أمثالُ ساوتــرن، ودانيال الذي يقــولُ: (منذُ الغزوِ العربــيِ والحياةُ الإسبانيــةُ تخضعُ لمقابلةِ: المسيحــي/ المــوريّ[6] فكلُ ما ليسَ لنا هو مسلمٌ وأجنبــيٌ في آنٍ واحدٍ، وكل ما لنا هو مسيحيٌ وإسبانيٌ في الوقتِ نفسهِ. إن التأكيدُ على ما هــو «لنا» يتسعُ ليشمــلَ، على نحوٍ متزامنٍ، المسيحيــةَ والإسبانيةَ، أما التأكيدُ على مــا ليس «لنا» فَيستوعَــبُ على النحوِ ذاته «قوميــةُ الآخر المتطفــلِ ودينُه». وإلى يومنا هذا، مــا يزالُ بعضُ الآباءِ في أريافِنا الأندلسيــةِ، يُسمّون كلَ صغيرٍ لَمْ يُعمَّدْ بعد بـ «الموري». إلا أنَّ المــوريَ، صديقاً كان لنا أم عدواً، معلماً أم تلميذاً، وحتى إذا جمعتنا به المدينةُ أو المنطقــةُ نفسُها التي نسكنُ، يظلُ يمثــلُ «الآخرَ» بامتيازٍ. وهو الآخرُ بالمعنيين غيرِ القابلين للفصــلِ: معنى الديانةِ ومعنى القوميةِ).

وفي المجالِ نفسه فــإنَ الكاتبَ الإسبانيَ المعاصرَ خوان غويتسولو يقــول: «إذا كانَتِ الصورُ الجاهزةُ التي وضعَها بعضُ المؤرخينَ الإسبانِ وجمعَها مينينديث بيدال[7] قد غذَّتِ الترسانةَ الأسطوريةَ لمفكرينا الديماغوجيينَ المناوئينَ للإسلام، فإن هذه الصورةَ ستظهرُ بعــد ثلاثةِ عقودٍ وتزدهــرُ في ظلِّ التقلباتِ التاريخيةِ لعلاقاتِنا السياسيــةِ والعسكريةِ مــع العــالمِ الإسلاميّ. إنَّ الأغــانيَ المبتذلةَ التي كتبَهــا مؤلفــونَ أمثــال هارتزنبوخ[8] والكالاغاليلو[9] وكامبوأمور[10] والتي أشرفَتِ الدولةُ علــى نشرِها، إنما توجزُ هذه الرؤيةَ الكاريكاتوريــةَ للآخر والتــي تقدمُهُ مثالاً للبربرية. وتصفُ المسلمينَ الأفارقةَ بأن لهم مرأى الوحشِــ، محياهمُ قــذرٌ وثقيلٌ، وكل ما فيهم هــو من الغرابةِ بحيــث يثير فيك الاشمئزازَ والذعرَ».



وفي سياقٍ آخرَ، نشأ بموازاةِ تحقيرِ الآخرِ، تيارٌ يرى في صورةِ الآخرِ نوعاً من التحولِ إلى أمثولةٍ تنطوي على عددٍ من العناصرِ الإيجابية. فمنذُ القرنِ الخامسَ عشرَ، بقيَ الصراعُ العسكريُ المسيحيُ- الإسلاميُ، والتنافسُ المستمرُ بين الثقافتَين، يمكّن من قيامِ سلسلةٍ من التبادلاتِ الفذةِ والتفاعلاتِ المستمرةِ التي فتنَتْ وستظلُ تفتنُ مؤرخي المعسكرَين الاثنين. ولقد دفعَ تدهورُ المسلمينَ العسكريُ ابتداءً من القرنِ السادسَ عشرَ، والتراجعُ الثقافيُ الذي عرفَهُ الموريسكيون، وموقعُهم الهامشيُّ بالقياسِ إلى المسيحيةِ المنتصرةِ، دفعَ الإسبانَ إلى تعديلِ نظرتِهم لخصومِهم الألداء. وفيما كان المسيحيُ يبدي في الحياةِ اليوميةِ ضرباً من العَنَت في معاملةِ هؤلاءِ المواطنينَ الموريسكيينَ، الشديدي الاختلافِ ولكنْ غيرَ القابلينَ في الوقتِ نفسهِ لا للاندماجِ ولا للتذويب، فإن ظاهرةً تعويضيةً معروفةً لدى علماءِ الاجتماع، بدأتْ تنشأ في إسبانيا، وتتطورُ. ظاهرةُ تعظيمٍ أسطوري، في مجالِ الأدبِ، لعدوٍ يُنظرُ إليه في الحياةِ الواقعيةِ العاديةِ باعتبارِهِ متدنياً وغايةً في التخلفِ، أي نفسَ ما حدثَ مع «الوحشِ الطيبِ»، هذا الهندي-الأمريكي الذي راحَ مفكرو عصرِ التنويرِ والكُتّابُ الرومانسيون الأوروبيون يخلعونَ عليه أسمى الفضائلِ والخصال، وفي الوقتِ نفسهِ كان تفوقُ أوروبة الثقافيُ والتقنيُ يعرِّضُهُ فيه إلى سياقٍ من الزوالِ لا يمكن ردّه، وسينتهي إلى تدميرِ حضارتهِ ومجتمعهِ. وليس هناك، شهادةٌ أبلغَ على هذهِ الظاهرةِ من الحنينِ الذي عبَّرَ عنهُ الكاتبُ الفرنسيُ شاتوبريان(11) إلى «بني سراج»(12).

إنّ تفخيمَ العدوِّ المقهورِ أو المبادِ خصيصةٌ مشتركةٌ في آدابِ العالمِ. فلا نندهشنَّ، إذن،

إذا ما نظرْنا إلى أهالي «قشتالة» وهم يعبّرونَ، كما يذكر مينينديث بيدال، وبمجردِ أنْ زال التهديدُ العسكريُ لمسلمي إسبانيا، يعبّرونَ عن افتتانهم بهذهِ الحضارةِ المدهشةِ، وهذا البذخِ الشرقيِّ الساحرِ في تصميمِ الأزياءِ، وهذه المباني الرائعةِ والطرقِ العجيبةِ في العيشِ وركوبِ الجيادِ وامتشاقِ الأسلحةِ ومبارزةِ الخصومِ!. وقد ألهمَ العربيُّ، كموضوعٍ شعري، شعراءَ منْ وزنِ «الباريث ده بياساندينو»، أفضلَ أغاني العشقِ وأروعَ الأبياتِ الشعريةِ التي يتوصلُ فيها عشقٌ مشبوبٌ ومثاليٌّ إلى اختراقِ الموانعِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ القائمةِ بين الطرفَيْنِ. وكذلك فإنَّ آخرَ معاركِ غرناطةَ قد تمخضَتْ عن سلسلةٍ من أغاني الرثاءِ الفذةِ، التي تتفجعُ على مصيرِ أولئك المسلمينَ المدحورينَ، وتصورُهُمْ كمثالٍ للشجاعةِ والكرمِ والنبلِ وأشياءَ أخرى ربما لم تكنْ متوافرةً حقاً في أناسٍ مقهورينَ ومعرَّضينَ للملاحقةِ.

وابتداءً من القرنِ السابعَ عشرَ، بدأ عالمُ «الموريّ» يجتذبُ الشعراءَ والروائيينَ وكُتّابَ المسرحِ الأوروبيين، ويشكل لهم مواضيعَ ملهمةً، وذلك بفضلِ ترجمةِ الأعمالِ «السراجية» ومؤلفاتِ بيريت ده هيتا، التي كشفَتْ لهم عن هذا العالم. وقد تمخضَتِ «الغرائبيةُ» العربيةُ في الملبسِ، وكرمِ القادةِ وإحساسِهم العالي بالشرفِ، وحماسةِ العشاقِ واحتدامِهم الغرامي، عن «موضةٍ» أدبيةٍ يمتزجُ فيها الخيالُ التاريخيُ والمشاهداتُ الشرقيةُ.

إن أفضلَ الأمثلةِ على هذه الثنائيةِ إنما نحنُ واجدوها لدى «آلاركون» Alarcon فالكثيرُ منْ قصائدِهِ وأقاصيصِهِ تكشفُ عن إعجابِهِ الصادقِ بالعالمِ الإسلاميِّ وانجذابِهِ الشديدِ إليه واستحضاراتِهِ المفعمةِ بالحنينِ للماضي العربيِّ. منها، «محادثةٌ في جامعِ الحمراءِ» و«موري من هذه الساعة» و«حسرة الموري» و« البخارا» و«إلى الشاعر المغربي شربي» إن هذهِ الأعمالَ جميعَها تعبّرُ عن رغبةٍ في التقربِ من العربِ، وفي «أن أكونَ صديقاً لهم، أتوغلُ في صميميتِهم، وأقبض على سرِ حياتِهم العجيبةِ». ولكن التذبذبَ بين احتقارِ «الموري» على صعيدِ الواقعِ، وبينَ الانجذابِ إلى صورتِه الذهنيةِ المفخمةِ، يسودُ جميع صفحاتِ كتابِه «يومياتُ شاهدٍ على حرب أفريقيا».

يقولُ آلاركونُ: «أتذكرُ بغموضٍ كيفَ كنْتُ، أوانَ الطفولةِ، دائمَ التخيلِ لحياةِ المسلمينَ وأبناءِ محمدٍ وأحفادِهِ على نحوٍ دقيقٍ ومشخص. ولقد كانت كتبُ التاريخِ وأوصافُ الرحالةِ، وما تتضمنُهُ منْ رسوم، تقدمُهم لي على النحوِ ذاتِهِ في ثيابِهم

الناصعةِ البياض، ووجوههم السمراء، ونظراتهم اللاهبة، ولحاهُم الفاحمة السواد، وجلستهم المرتخية المرتاحة، وحياتهم السهلة، وطبائعهم الجانحة إلى الشهوة، وسطوح بيوتهم البيضاء وأعمدتها الأثرية ومتكآتهم البيضاء، ونوافير الماء في البيوت، والنسوة الصامتات، والمساكن العامرة بالهدوء والسلم، والمناخات المسربلة بالأحلام والمسرّات والرعب»

ويقولُ في مكانٍ آخرَ: «ما كانَ المسلمون ليزيدوا على مئة فارس ومع ذلك فقد كانوا يملؤونَ السهلَ كلَّهُ. أبداً لم أرَ رجالاً بمثلِ هذهِ الرشاقة وهذه الأناقة وهذه الفتنة. كانت جيادُهم تصهلُ وتدورُ وتتفرقُ من جديد، وتجتازُ مسافةً شاسعةً في لمح البصر، تروحُ وتأتي فوقَ العشبِ الأخضرِ أشبهَ ما تكونُ بنوارسَ محلقةٍ فوقَ البحر. وكانت برانُس الموريينَ البيضاءُ، تتموجُ في الهواءِ كما لو كانَ أبناءُ الصحراءِ هؤلاءِ يفردون أجنحتَهم العريضةَ للقائنا. يا لَها منْ لوحة رائعةٍ ويالَهُ من مشهد لا بدَّ وأن يكونَ قد حلمَ به طويلاً كلُ من اغتذَتْ مخيلتُهُ من الأساطيرِ الشرقية».

ويضيفُ ألاركون «لا داعيَ لأن نضيفَ أن هؤلاءِ العربَ، المدهشينَ بقاماتِهم الممشوقةِ وثيابِهم المتموّجةِ وخيولِهم الخاطفةِ السرعةِ وأسلحتِهم العجيبةِ، لا يثيرونَ الإعجابَ فَحَسْبُ، بَلْ إنَّ هناكَ شيئاً آخرَ أيضاً. فالمسافةُ تذيبُ الأُطرَ الخارجيةَ وتلطفُ من خشونةِ الزوايا وتحفزُ على التأملِ الشاعريّ». أما عن قرب، فيقولُ لنا ألاركونُ نفسُه «إن هؤلاءِ المسلمينَ يثيرونَ النفورَ والتقززَ أكثرَ مما يبعثونَ على الاهتمام. إنَّهُم في الواقعِ أكثرُ فقراً وحرماناً من أن يضطلعوا بالدورِ التقليدي الذي تمنحُهم إياه الأسطورةُ». إلا أن إخلاصَ الكاتبِ للحقيقةِ يدفعُهُ للقولِ «أناساً هم على هذه الدرجة من النبلِ والجمالِ والعظَمةِ يستحقون الإعجابَ».

وعلى الرغم من قيام الموجةِ الرومانسيةِ والاستشراقِ الأوروبيِّ بتسليطِ الأضواءِ من جديدٍ على الفترةِ التي عاشَها العربُ في الأندلس، فإن الإسبانَ قد واصلوا طيلةَ القرنِ التاسعَ عشرَ النظرَ إلى التراثِ العربي في الأندلسِ كشيءٍ غرائبي ملونٍ، وكعُنصرٍ غريبٍ نام على الجذعِ المسيحيِّ الغربيِّ الذي انتهى أخيراً إلى بترِهِ واستبعادِهِ. إن التطورَ البطيءَ الذي عرفَتْهُ الدراساتُ العربيةُ في إسبانيا من جهةٍ، والمقاربةَ التاريخيةَ الثقافيةَ الشديدةَ الجراْةِ التي قدَّمَها أميركو كاسترو(١٢) Americo castro من جهةٍ ثانية قد كشفا عن هشاشةِ الحُجَجِ التي يستندُ إليها التحليلُ الأدبيُّ عندَ المستشرقينَ

الإسبان والأوروبيين بشكلٍ عام. وإن كتابَ كاسترو «آثارُ الإسلام» Huellas del Islam قد فتحَ آفاقاً جديدةً وثريةً لدراسةِ مؤلفاتِ الأدباءِ والمستشرقينَ الإسبان. إن التقاءَ أفكارِ هذا المفكرِ (كاسترو) مع أفكارِ مفكرٍ آخرَ هو آسين بالاثيوس Asin Palacios كان له الفضلُ الأكبرُ في توسيعِ حقلِ الدراساتِ الأوروبيةِ لحقبةِ الوجودِ العربيِّ في إسبانيا.

لقد كان «كاسترو» يؤمنُ دائماً بحضورِ الإلهام العربيِّ وراءَ أعمالٍ كثيرةٍ. وبفضلِ أبحاثِ مستشرقينَ مرموقينَ أمثال «ليفي بروفنسال»[١٤] و«آسين بالاثيوس»، أصبحَ من الصعبِ الدفاعُ عن الأطروحةِ العتيقةِ والتي تهاوَتْ مع مرِّ الأيامِ والتي تقولُ بأن العربَ والمسلمينَ لم يمارسوا غيرَ تأثيرٍ عابرٍ على الثقافةِ الإسبانيةِ.

وإذا حلّلنا الاستشراقَ الإسبانيَ تحليلاً واقعياً فإننا نجدُ أن الإسبانَ قد اهتموا بالثقافةِ العربيةِ الإسلاميةِ فعلاً، فأنشأوا بغض النظر عن الأسباب والدوافع كراسيَ اللغاتِ الشرقيةِ في جامعاتهم وأنشأوا المكتباتِ التي تضمُ المخطوطاتِ العربيةَ ومطابعَ خاصةً لطباعة الكتبِ العربيةِ والمخطوطاتِ المحققة والتي دُرِسَتْ مِنْ قِبَلِ مستشرقينَ إسبانَ، وكذلك نجدُ مجلاتٍ استشراقيةً متخصصةً ومجموعاتٍ عربيةً.

١- كراسي اللغات الشرقية:

- جامعة صلمنكة: تأسسَتْ سنةَ ١٢٢٧م وهي أولُ جامعةٍ خصصتْ كرسياً للغاتِ الشرقيةِ وقد عدَّها مجمعُ فيينا أحدَ المراكزِ العلميةِ الأربعةِ الهامةِ في أوروبة، فاشتملَتْ على خمسة وعشرينَ كرسياً منها اليونانية والعبرية والعربية، وما زالت في اطّرادٍ حتى بلغَتْ في القرنِ السابعَ عشرَ سبعينَ كرسيّاً، لسبعةِ آلافِ طالبٍ.

ومن الجامعاتِ الأخرى التي خصصَتْ كراسيَ لدراسةِ اللغاتِ الشرقيةِ:

- جامعة إشبيلية: تأسسَتْ سنةَ ١٢٥٤م.
- جامعة بالما: تأسسَتْ سنةَ ١٢٨٠م.
- جامعة ليريدا: تأسسَتْ سنةَ ١٣٠٠م.
- جامعة برشلونة: تأسسَتْ سنةَ ١٤٥٠م.
- جامعة بلنسية: تأسسَتْ سنةَ ١٤٧٤م.
- جامعة سرقسطة: تأسسَتْ سنةَ ١٤٧٤م.
- جامعة مدريد: تأسسَتْ سنةَ ١٥٠٨م.
- جامعة غرناطة: تأسسَتْ سنةَ ١٥٤٠م.

- جامعة سنتياجودي كومبوستيلا: تأسست سنة ١٥٤٤م.
- جامعة أوبيدو: تأسست سنة ١٥٥٧م.
- جامعة لالاغونة: تأسست سنة ١٩٥٠م.

وبعد أن وهنت الصلات بين إسبانيا والعرب، وقلّت العناية بالعربية نشط لها الملكُ كارلوس الثالث (١٧١٦-١٧٨٨)، فوسّع المكتبة الملكية ونظّم مكتبة دير الأسكوريال التي كان قد أنشأها الملكُ فيليبُ الثاني ناشرُ التوراة في سبعة مجلدات، وجعل من معرفة العربية مبرراً لترقية الموظفين، واستدعى رهباناً موارنةً من لبنان، وشجّع الإسبانَ على التضلع في اللغة العربية ونشر تراثها.

وفي أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر أُصلح شأنُ الجامعات فعادت العربيةُ تُدَرَّسُ رسمياً، وأفاد طلابُها من مخطوطاتها الغنية في المكتبات العامة أو الخاصة، فنشروا الكثيرَ منها، متناً وترجمةً وتصنيفاً، لكل ما له علاقةٌ بتاريخ الأندلس وجغرافيّتها وتراجم رجالها وعلومهم وآدابهم وفنونهم.

وفي جميع كليات الآداب اليومَ كرسيان أحدُهما لليونانية والآخرُ للعربية يَختارُ الطالبُ احدَهُما، ويتخرجُ منها بعد سنتين.

ويتوفرُ حالياً في ثلاث جامعاتٍ هي جامعاتُ: مدريد وبرشلونة وغرناطة قسمٌ للغات السامية يقضي فيه الطالبُ ثلاثَ سنواتٍ للتخصص وينالُ منه الماجستيرَ ثم الدكتوراة. وهناك أقسامٌ للمشرق في جامعات أوتونوما، ومرسيه، ومالقة. وفي عام ١٩٧٤م صدرت قوانينُ تنظيم الجامعات، فوضعت اللغةَ العربيةَ في قسم اللغات الحديثة مثل الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية.

ويُضافُ إلى الجامعات: قسمٌ خاصٌ بالعربية العامية والمغربية في مدارس التجارة، وتبلغُ نحوَ خمسين مدرسةً في مُدُنِ إسبانيا. وقد أنشئت مدرسةٌ للدراسات العربية في مدريدَ سنة ١٩٣٣م، وأُلحقَ بها مركزان للأبحاث في مدريدَ وغرناطة، ثم أُدمجت في المجلس الأعلى للأبحاث العلمية سنة ١٩٣٩ م، وأُطلقَ عليها «معهدُ أسين للدراسات العربية». ويتبعُ المجلسَ الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد كلٌّ من معهد الدراسات الأفريقية، ومعهد الدراسات السياسية، وفيه قسمٌ لدراسة الإسلام المعاصر. وفي مدريدَ توجدُ مدرسةُ الألسن العليا، وفيها قسمٌ للعربية والمعهد المصريّ للدراسات الإسلامية، وفي صلمنكة يوجدُ

المعهدُ المارونيُّ اللبنانيُّ الذي أنشأهُ الجنرالُ فرانكو سنــةَ ١٩٤٦ م. وقد عَمَــدَتْ وزارةُ المعــارفِ الإسبانيــةُ إلى مضاعفــةِ كراسيِّ اللغــةِ العربيــةِ في جامعاتِها، كمــا أعدَّتْ مشروعــاً لتدريسِها في المدارسِ الثانويةِ.

وفي تطوانَ التي تخضــعُ للسيادةِ الإسبانيةِ نجد معهدَ الدراساتِ المغربيةِ، ومن أساتذتِه موسى عبود اللبناني مصنفُ كتابِ القواعدِ العربيةِ الذي نُشِــرَ في مدريدَ سنةَ ١٩٥٦م، ومعاهــدَ للموسيقــى والفنــون التشكيلية، ومعهدَ الجنرال فرانكــو، وكان من أساتذتِه ألفرد البستاني اللبناني ثم مواطنهُ نجيب أبو ملحم جريدي أستاذُ اللغــةِ العربيةِ وآدابِها في جامعة كومبلوتنس بمدريد، وهو صاحبُ أربعةَ عشرَ مصنفاً بين مؤلَّفٍ ومُترجَم.

وفي عــام ١٩٥٤م تأســس في مدريــدَ المعهدُ الإسبانيُّ العربيُّ للثقافة، ثم وُضِعَ له قانونٌ خاصٌّ وميزانيــةٌ مستقلةٌ سنةَ ١٩٧٥ م، وأُنْشِــئَ له مراكزُ في طنجــةَ، والرباطِ، والجزائرِ، والقاهرةِ، والإسكندريةِ، وعمانَ، وبيروتَ، ودمشقَ، وبغدادَ، وأنقرةَ.

وصَــدَرَ عن المعهدِ ديــوانٌ للشاعر نزار قباني بعنوان «قصائدُ الحبِّ» قَدَّمَ لترجمتِه الإسبانيةِ المستشرقُ بدرو مارتينث، وترجمةَ «يومياتِ نائبٍ في الأريافِ» لتوفيق الحكيم، ومجموعةً قصصيةً لنجيب محفوظ.

٢- المكتبات الشرقية:

- مكتبة الأسكوريال Biblioteca del Escorial:

تأسسَــتْ سنــةَ ١٥٥٧م وفيهــا ألــفٌ وتسعمئــةُ مخطــوطٍ عربيٍّ، جمعَهــا الملكُ فيليب الثــاني من بقايا المكتبــةِ الأندلسيةِ الإسلاميةِ بغرناطةَ. ثــم أُضيفَتْ إليها سنةَ ١٦١٤م عشــر مكتبةُ مولاي الثــاني زيدان أحــدِ سلاطينِ المغــربِ، وقد بلغَــتْ ثلاثةَ آلافِ مخطوطٍ عربي، وفي عام ١٦٧١م شبَّ حريــقٌ في الأسكوريال التهَمَ جزءاً كبيراً من كتبِهــا، ولم ينجُ من الكتبِ العربيةِ سوى ألفٍ وتسعمئةِ مخطوطٍ.

وقــد عُهِــدَ إلى الأبِ ميخائيل الغزيري الماروني اللبنــاني بتصنيفها سنــةَ ١٧٤٩م، فصنفها علــى حســب موضوعاتِها مجلداً مجلداً من واحدٍ إلى ألــفٍ وثمانمئة وثلاثةٍ وخمســينَ واصفــاً كلَّ مجلــدٍ علــى حدةٍ بالعربيــةِ واللاتينيــةِ، فوقعَــتْ في جزأين: الأول في خمسمئــةٍ وأربعٍ وخمسينَ صفحةً، والآخر في مئتينِ واثنتــينِ وثلاثين صفحةً. وقــد ذيل الأخير بمســردٍ عامٍّ عــن أسماءِ المؤلفينَ، ونشرَهــا في مدريدَ سنةَ (١٧٦٠-٧٠) بعنوان: فهرس المكتبة العربية الإسبانية

في الأسكوريال Biblioteca Arabica Hispana Escurialensis – ثم أُضيفَ إلى المكتبةِ خمسةُ آلافِ مجلدٍ بأمرٍ ملكيٍّ سنةَ ألفٍ وثمانمئةٍ وستٍ وسبعينَ.

وفي عام ١٨٨٠م قصدَ هرتويج ديرنبورج أحدُ أعضاءِ الجمعيةِ الآسيويةِ في باريس – إسبانيا في مهمةٍ علميةٍ، فاغتنم الفرصةَ لدراسةِ المخطوطاتِ العربيةِ في مكتبةِ الأسكوريالِ وتحقيقِ فهرسِ الغزيري والإضافةِ إليه. وقد نشرَ الجزءَ الأولَ من فهرسِه بعنوان: مخطوطاتُ الأسكوريالِ العربيةِ، متناولاً بالوصفِ المخطوطَ رقم واحد إلى سبعمئةٍ وثمانيةٍ، فوقعَ في خمسمئةٍ وخمسٍ وعشرينَ صفحةً ونشرَ الجزءَ الثانيَ من المخطوط من رقم سبعمئةٍ وتسعةٍ إلى سبعمئةٍ وثمانيةٍ وخمسينَ، في إحدى وثمانين صفحةً.

وفي عام ١٩٢٤ عُهِدَ إلى ليفي بروفنسال بإتمام فهرسِ ديرنبورج بموافقةِ أرملتِه، فذهبَ إلى مكتبةِ الأسكوريالِ وأقامَ فيها مدةً، واستخلصَ من جُذاذاتِ ديرنبورج فهرساً جديداً حققَهُ وأضافَ إليهِ، ونشرَهُ بعنوان: «الجزءُ الثالثُ من مخطوطاتِ الأسكوريالِ العربيةِ»، وأولُ مخطوطٍ كان رقمُه ألفاً ومئتين وخمسةً وستين وآخرُهُ مخطوطٌ رقمُهُ ألفٌ وستمئةٌ وثلاثةٌ وثلاثونَ، ويشتملُ على العلومِ الدينيةِ والجغرافيا. أما القسمُ الباقي من الجزءِ الثاني وأولُه رقم سبعمئة وخمس وثمانون وآخره ألف وستمئة واثنان وثلاثون – فيتناولُ الطبَ والتاريخَ والرياضياتِ والقضاءَ، ونُشرَتْ هذه الأجزاءُ الثلاثةُ في ورقٍ صقيلٍ، وطباعةٍ أنيقةٍ، تتضمن اسم الكتابِ واسم مؤلفِه، وتاريخ وفاتِه وكتابتِه، وموضوعه، ونوع خطِّه، وعدد صفحاتِه، وأبعادها وعدد سطورِها. ثم وَضَعَ الدكتورُ رينو فهرسَ مخطوطاتِ الأسكوريال وفق جذاذاتِ ديرنبورج بعد تحقيقِها وتكميلِها فصدرَ في جزأين (باريس ١٩٣٩ – ٤١). وتشتملُ المكتبةُ اليومَ على أربعةِ آلافِ كتابٍ مطبوعٍ، وألفٍ وتسعمئةِ مخطوطٍ عربيٍ، وسبعمئةِ مخطوطٍ يوناني، وألفينِ وستةٍ وثمانينِ مخطوطاً لاتينياً وثلاثةٍ وسبعينَ مخطوطاً عبرياً.

– **مكتبة مدريد الوطنية:**

تأسسَتْ سنةَ ١٧١٦م، وَضَعَ جيينُ روبلس فهرساً لمخطوطاتِها العربيةِ، في ثلاثمئةٍ وأربع وثلاثين صفحةً، مع مسردٍ بأسماءِ المؤلفينَ والنُسَّاخِ والكُتبِ، وصفَ فيه ستُمئةٍ وستَ مخطوطاتٍ نُشِرَ في مدريدَ سنةَ ألفٍ وثمانمئةٍ وتسعٍ وثمانينَ.

– **مكتبة جمعية الأبحاث العلمية:**

وضعَ ألاركون وبالنثيةِ وأويثى فهرساً

لمخطوطاتها العربية والأعجمية، في ثلاثمئة وعشرينَ صفحةً نشر في مدريدَ سنة ١٩١٢م، ثم ضُمَّتْ المكتبةُ إلى المجلسِ الأعلى للأبحاثِ العلميةِ سنة ١٩٤٠م.

- مكتبة الإقامة الإسبانية السابقة بتطوان:

تأسسَتْ سنةَ ١٩٢٩م ووضَعَ فهرسَ مخطوطاتها العربيةِ الأولى «أميليو لافوانتي اي القنطرة» ونُشرَ في مدريدَ سنةَ ١٨٦٩م، ثم صنفَتْ أمانةُ المكتبةِ فهرساً عاماً فاشتملَ القسمُ العربيُ منهُ على خمسةِ آلافٍ وستمئةٍ وخمسينَ كتاباً وسبعمئةٍ وسبعةٍ وخمسينَ مخطوطاً ومئتينِ واثنينِ وخمسينَ مجلداً مطبوعاً في المطبعةِ الحجريةِ بفاسَ. ويتكونُ الفهرسُ منْ سبعةَ عشرَ ألفاً وثمانمئةٍ وخمسٍ وعشرينَ جذاذةً منها خمسةُ آلافٍ وثمانٍ وخمسينَ بأسماءِ المؤلفينَ وثلاثةِ آلافٍ وأربعمئةٍ وأربعٍ وسبعينَ بعناوينِ الكتبِ وأربعةِ آلافٍ وثلاثمئةٍ وتسعٍ وخمسينَ بحسب المواد وأربعةِ آلافٍ وأربعٍ وأربعينَ بحسب الأرقام ونُشرَ في تطوانَ سنةَ ١٩٥٢م.

- مكتبات الجامعات والمعاهد والمراكز ومجمع التاريخ:

ولكلٍ منها فهرسٌ خاصٌ وقدْ وضعَ فهرسَ المخطوطاتِ العربيةِ بجامعةِ غرناطةَ «المجرو كارديناسُ» سنةَ ١٨٩٠م ونُشرَ في باريسَ سنةَ ١٨٩٤م ووضع «آسين بالاثيوس» فهرسَ المخطوطاتِ العربيةِ في غرناطة سنةَ ١٩١٢م.

هذا خلا المكتباتِ الخاصةِ لكبارِ المستشرقين من أمثالِ: جاينجوس وكوديرا وريبيرا وآسين بالاثيوس، وغيرهم.

٣- المتاحف الشرقية:

متحف معهد بلنسية دي دون خوان في مدريد: أسسهُ الكونتُ «دي أوسما» الوزيرُ الكاتبُ، ومن آثاره: معلوماتٌ عن القيشاني في ثلاثةِ مجلداتٍ نُشرَ في مدريدَ سنةَ (١٩٠٦-١١).

٤- المطابع الشرقية:

- مطبعة مايستري Editorial Maestre، Madrid:

أُنشئَتْ في مدريدَ سنةَ ١٩٠٠م

- مطبعةُ المعهدِ المصري للدراساتِ الإسلامية:

أُنشئَتْ في مدريدَ سنة ١٩٥٣م

٥- المجلات الشرقية:

- أفريقيا:

تأسسَتْ في مدريدَ سنة ١٩١٣م وتوقفَتْ عن الصدورِ سنةَ ١٩١٧م، ثم استؤنفَ صدورُها شهريةً منذُ عام ١٩٤٢م.

- نشرة جمعية المستشرقين الإسبان

- الأندلس:

أُسِسَتْ في مدريدَ سنةَ ١٩٣٢م وتصدر مرتين في السنةِ عن معاهدِ الدراساتِ العربيةِ في غرناطةَ.

- كراسات معهد الدراسات الأفريقية

الذي تأسسَ في مدريدَ سنةَ ١٩٤٥م ثم أُعيدَ تأسيسهُ سنةَ ١٩٥٨م.

- محفوظات معهد الدراسات الأفريقية:

تأسسَتْ في مدريدَ سنةَ ١٩٤٧م وتصدر أربعَ مراتٍ في السنةِ.

- مجلة مدينة الله.

- كراسات معهد الدراسات الأفريقية والشرقية

تأسس في مدريدَ سنة ١٩٥١م.

- تمودا Tamuda:

تأسسَتْ في تطوانَ سنةَ ١٩٥٣م، وتوقفت ثم صدرَتْ باسم هسبيريس – تمودا

- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بالعربية والإسبانية:

تأسسَتْ في مدريدَ سنة ١٩٥٣م.

وقد صدرَ عنها نحو أربعينَ كتاباً منها: الجزءُ الثالثُ من الأيام، وسبعُ قصصٍ مصرية، وشهرزاد.. إلخ وكلها مترجمة.

- الشرق الأوروبي:

تأسستْ في مدريدَ سنةَ ١٩٥٦م تصدرُ مرتين في السنة

- المرآة.

- محفوظاتُ الفن الإسباني.

- أعمالُ مؤتمرِ الدراساتِ العربيةِ.

- أعمالُ مؤتمرِ الدراسات العربية الإسلامية.

- حولياتُ معهدِ الدراساتِ العربيةِ.

- منوعاتُ دراساتِ عربيةٍ وعبريةٍ.

يُضافُ إليها من المجلاتِ التي تعنى بالثقافةِ الشرقيةِ:

- نشرةُ المجمعِ الملكيِ للتاريخِ في مدريدَ.

- نشرةُ المجمعِ الملكيِ للآدابِ في برشلونةَ.

- النشرةُ الدوليةُ للتاريخ والعلوم.

- إسبانيا. وتَصدرُ في مدريدَ.

- الملك وتصدرُ في قرطبةَ.

- مجلةُ الفلسفةِ وتصدرُ في مدريدَ.

- العلمُ التيموتاويُ وتصدرُ في صلمنكةَ.

- الفكرُ وتصدرُ في مدريدَ.

- الدراساتُ الفلسفيةُ وتصدرُ في سنتندرَ.

مجلةُ المكتباتِ والمتاحفِ وتصدرُ في مدريدَ.

المجموعات العربية:

لم يُنْشر من مخطوطاتِ مكتبةِ الأسكوريالِ العربيةِ سوى بضعِ عشراتٍ، أشهرُها مجموعةُ المكتبةِ العربيةِ الإسبانيةِ Biblioteca Arabico-Hispana، وقد تولى نشرَها كوديرا وعاونَه ريبيرا في بعضِها، فصدرَتْ في عشرةِ أجزاءَ، الجزءُ الأولُ والثاني: كتابُ الصلةِ في تاريخِ أئمةِ الأندلسِ: علمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم لابن بشكوالَ في مجلدَيْنِ يحتويانِ على ألفٍ وأربعمئةٍ وأربعينَ ترجمةً، في ستمئةٍ وخمسينَ صفحةً، ما عدا الفهارسَ، وقد نشرَهُ كوديرا سنةَ ألفٍ وثمانمئةٍ وثلاثٍ وثمانينَ.

والجزءُ الثالثُ ضمَ كتابَ بغيةِ الملتمسِ في تاريخِ رجالِ أهلِ الأندلسِ علمائها وشعرائها وذوي النباهةِ فيها، للضبي القرطبي يحتوي على ألفٍ وخمسمئةٍ وخمسٍ وتسعينَ ترجمةً في خمسمئةٍ واثنتينِ وثلاثينَ صفحةً، ما عدا الفهارسَ، نشرَه كوديرا وريبيرا سنةَ ألفٍ وثمانمئةٍ وخمسٍ وثمانينَ.

والجزءُ الرابعُ ضمَّ المعجمَ في أصحابِ القاضي الأمامِ أبو علي الصفدي لابنِ الأبارِ يحتوي على ثلاثمئةٍ وخمسَ عشرةِ ترجمةً، في ثلاثمئةٍ وأربعٍ وعشرينَ صفحةً، ما عدا الفهارسَ، نشرَهُ كوديرا وريبيرا سنةَ ١٨٨٦م وأُعيدَ نشرُهُ بالأوفست.

والجزءانِ الخامسُ والسادسُ ضمّا التكملةَ لكتابِ الصلةِ لابنِ الأبارِ في مجلدَيْنِ يحتويانِ على ألفَيْنِ ومئةٍ وخمسٍ وعشرينَ ترجمةً، في سبعمئةٍ وستٍ وخمسينَ صفحةً، نشرَهُ كوديرا سنة (١٨٨٧م-١٨٩٨م)، ونشرَ الأركونُ، وجونثاليث بالنثيه قطعةً ثانيةً منْهُ في مدريدَ سنةَ ١٩١٥ م، والفردبل ومحمد بن شنب قطعةً ثالثةً منه، نُشرَتْ في الجزائر سنةَ ١٩٢٠ م.

والجزءان السابعُ والثامنُ ضمَّا تاريخَ علماءِ الأندلسِ لابن الفرضي وفيه ألفٌ وأربعمئةُ عنوانِ كتابِ ألفَها مسلمو الأندلسِ، في مجلدَيْنِ يحتويانِ على ألفٍ وسبعمئةٍ وستٍ وستينِ ترجمةً في خمسمئةٍ وأربعةٍ وثلاثينَ صفحةً، ما عدا الفهارسَ، نشرَهُ كوديرا سنةَ ١٨٩١م. ثم أُعيد نشرُ الصلةِ لابنِ بشكوالِ، والتكملةُ لكتابِ الصلةِ لابنِ الأبارِ، وتاريخُ علماءِ الأندلسِ لابنِ الفرضي في القاهرةِ.

والجزءان التاسعُ والعاشرُ ضَمَّا فهرسَتَ ما رواهُ أبو بكرِ الإشبيلي الأموي عن شيوخِهِ، في مجلدَيْنِ، منْ أربعمئةٍ وثلاثٍ وستينَ صفحةً وقد نشرَهُ كوديرا وريبيرا سنةَ ١٨٩٥م، وأُعيد نشرُهُ في بيروتَ سنةَ ١٩٦٣م.

وبفهرست الإشبيلي تمت مجموعة المكتبة العربية الإسبانية. ولئن أعيب عليها تحريف وسقط فيهما فإنهما يغتفران لها إلى جانب العناية بطبعها وتنظيم فهارسها.

ومن منشورات معهد الجنرال فرانكو في تطوان:

رحلة الوزير في افتكاك الأسير للوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني متناً وترجمة إسبانية، في مئتين واثنتين وثمانين صفحة، وكتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، وقد حققه الأستاذ ألفريد البستاني على عدة مخطوطات، وقدم له وعلق عليه ووضع فهارسه ونشر في مدينة العرائش سنة ١٩٤٠م، وكتاب الكليات لابن رشد، وقد قدم له الأستاذ ألفريد البستاني بمقدمة نقلت إلى الإسبانية، وذيله بفهرستين، أحدهما لموضوعاته والآخر بأسماء بعض النبات والحيوان والمعادن، مع بيان بأسمائها العلمية وموجز عن خصائصها ونشر في مدينة العرائش سنة ١٩٤١م، وكتاب الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية لليفي بروفنسال سنة ١٩٥٩م.

ومن منشورات معهد مولاي الحسن في تطوان ديوان يوسف الثالث آخر ملوك غرناطة نشره الأستاذ عبد الله كنون بمقدمة وفهارس في مئتين وتسع وستين صفحة سنة ١٩٥٨م.

أشهر المستشرقين الإسبان:

في المراجع التي توفرت لدي استطعت أن أحصي ما يزيد عن مئتين وخمسين مستشرقاً إسبانياً عملوا في مجال الدراسات العربية الإسلامية فألفوا الكتب وفهرسوا المخطوطات العربية في المكتبات الإسبانية وصنفوها حسب مواضيعها، وحققوا بعضها. ومن أشهر هؤلاء المستشرقين ريبيرا إي طراجو، والأب أسين بلاثيوس والاركون إي سانتون والأب موراتا وأمريكو كاسترو ومينينديث بيدال وفرنشيسكو كوديرا وفايكروسا.. وغيرهم كثير.

وسأحاول أن أسلط الضوء على بعض هؤلاء المستشرقين:

فرانشيسكو كوديرا اي ثايدين (١٨٣٦م- ١٩١٧م):

وُلد في خونز من أعمال أراغون، وتعلم اللاتينية واليونانية والعبرية ثم العربية وقد جاوز الأربعين ورحل إلى شمال أفريقيا حيث تضلع في العربية واقتنى مخطوطات شرقية نادرة مازالت في مجمع التاريخ بمدريد، ومجموعة من النقود العربية والإسبانية، ولما رجع خلف دي جاينجوس على كرسي

العربيـةِ في جامعةِ مدريدَ ووقـفَ نشاطَهُ علـى الدراساتِ التاريخيـةِ وتقييمِ الثقافةِ الإسلاميةِ في إسبانيا. وقد نَشَرَ عشرةَ أجزاءٍ من مخطوطاتِ مكتبـةِ الأسكوريالِ العربيةِ تعتبرُ مراجعاً هامة، ووَضَعَ آلافَ البطاقاتِ التاريخيـةِ والجغرافيةِ فانطلقَـتْ بفضلِهِ مدرسةُ المستشرقينَ الإسبانِ الحديثةُ.

آثاره: ملحـقٌ لكشفِ الظنـونِ (ليبزيج ١٨٥٨م) ودور سـك النقـود الأندلسيـة (مدريد ١٨٧٤م) ودراساتٌ في تاريخِ إسبانيا الإسلاميةِ من مجلـد ٧ إلى ٩. وله مصنفٌ في أفـولِ المرابطـينِ واندثارِهِم من إسبانيا في جزأيـنِ، وقد رَدَّ فيه علـى دوزي الذي تعصبَ لملوكِ الطوائفِ على المرابطينَ. ومن دراساته: نهضـةُ الأدبِ الإسلامي، وحدودُ الفتحِ الأموي في الأندلسَ، والكتاباتُ العربيةُ في المـدنِ الإسبانيةِ، وعلمُ الفلكِ في التاريخِ العربي، والدنانيرُ الذهبيةُ العربيةُ في ايبريا، والإرثُ على المذهبِ المالكي، والتاريخِ العربي الإسباني، ودراساتٌ عربيةٌ.

ريبيرا طراجو (١٨٥٨- ١٩٣٤):

ولـد في كركخنتـه من أعمـالِ بلنسيةَ. وتعلـم العربيةَ علـى كوديـرا، وتخرجَ من جامعةِ سرقسطةَ، وعُيِّنَ أستاذاً للعربيةِ فيها، وأستاذاً لتاريخِ حضارةِ اليهودِ والمسلمينَ في جامعـةِ مدريدَ، ثم اعتزلَ التدريسَ، وعكفَ علـى التأليفِ في بلنسيـةَ وعُدَّ من بينِ كبارِ علماءِ الاجتماعِ والتاريخِ والكشفِ عن أصلِ الشعرِ الغنائي الأوروبي من المنابعِ العربيةِ.

آثـاره: نُشِرَ بمعاونـةِ كوديرا اي تايدين: المكتبـةُ العربيـةُ الإسبانيـةُ اعتبـاراً من الجـزءِ الثالثِ، وهـي عشرة أجـزاء، وله: نُظُـمُ التدريـسِ عنـد المسلمـينَ الإسبانِ، وأصولُ القضاءِ العـالي في أراغون، وتاريخُ القضـاءِ بقرطبةَ للخشني القـيرواني متناً وترجمـةً إسبانيـةً، والملاحـمُ الأندلسيةُ، وديوانُ ابـنِ قزمانَ، وموسيقـى الأندلسِ، والشعراءُ الجوالونَ، وتُرْجِـمَ إلى الإسبانيةِ فتـوحُ الأندلسِ لابنِ القوطيةِ وكان قد نشرَهُ جاينجوس وسابيدرا مع إضافاتٍ من كتابِ الإمامـةِ والسياسةِ لابنِ قتيبـةَ، والموسيقى العربيـةُ وأثرُهـا في الموسيقـى الإسبانيةِ، وصنَّـفَ كتابـاً بعنوان: بحـوثٌ ورسائلُ في جزأيـنِ اشتمـلَ على الشاعرِ ابـنِ قزمانَ، والـردُّ علـى دوزي، والملاحـمُ الأندلسيةُ، وأصولُ فلسفـةِ رايموندو لوليـو، وجامعو الكتـبِ والمكتبـاتِ في إسبانيـا الإسلاميةِ، والمدارسُ الإسلاميةُ، وابن القوطيةِ وتاريخُهُ، وتاريخُ الموسيقى، ومدرسةُ بلنسيةَ للخطوطِ العربيـةِ، والموسيقى الأندلسيـةُ في العصرِ الوسيـطِ في أوروبة، وتاريخُ عـربِ بلنسيةَ وعاداتُهم ونظمُهـم، والعقيدةُ المسيحيةُ في

اللغةِ العربيةِ، ومراسمُ جنازةِ عربِ إسبانيا. وله في المجلاتِ العلميةِ دراساتٌ رصينةٌ عن: أحوالِ العربِ عندَ فتحِ الأندلسِ، وحولَ قلعةِ طريفِ، ومعاهدُ سلامِ فرناندو الأولُ حاكمُ نابوبي وأبو عامر عثمان حاكمُ تونس.

الأب آسين بلاثيوس (١٨٧١-١٩٤٤م):

ولدَ في سرقسطةَ، وتخرجَ من معهدِها الديني، وتلقى العربيةَ على ريبيرا، ونشرَ رسالتَهُ عن العقيدةِ والأخلاقِ والتصوفِ لدى الغزالي، وبعدَ فوزِهِ في امتحانِ الأستاذيةِ خلَّفَ كوديرا على كرسيِّ العربيةِ في جامعةِ مدريدَ. ومن آثارِهِ: العقيدةُ والأخلاقُ والتصوفُ لدى الغزالي، ومذهبُ ابن رشدٍ ولاهوت توما الإكويني، وعني بمحيي الدين ابن عربي عنايةً شديدةً، فنشرَ عنه سلسلةَ دراساتٍ منوعةً منها: محيي الدين بن عربي، وتَرْجَمَ إلى الإسبانية كتابَ الأخلاقِ والسلوكِ لابنِ حزم القرطبي، وصنفَ كتاباً بعنوان: المتصوفُ ابنُ عربي، ونشرَ رسالةَ القدسِ لابنِ عربي، وكتبَ دراسةً بمعاونةِ نيكولسن عن الناحيةِ المظلمةِ في صوفيةِ ابن عربي. ووضعَ فهرسَ المخطوطاتِ العربيةِ في غرناطةَ، ودراسةً عن ابن مسرةَ ومدرستِهِ، وأصولِ الفلسفةِ الأندلسيةِ، ونشرَ كتابَ المدخلِ إلى صناعةِ المنطقِ لابن طلموس، وصنفَ كتاباً في ابنِ حزم ونشرَ لَهُ الفِصَلُ في المللِ والنِّحَلِ متناً وترجمةً إسبانيةً، مع تحليلٍ لنقدِهِ الأفكارَ الدينيةَ في خمسةِ أجزاءَ، وصنفَ كتاباً بعنوان الآياتُ الإسلاميةُ في الكوميديا الإلهيةِ أوردَ فيه أدلةً تاريخيةً عن أخذ دانتي عن المعريِّ. ونشرَ محاسنَ المجالسِ لابنِ العريفِ، متناً وترجمةً فرنسيةً، ومقارنةً بين ابن عبادٍ الرندي ويوحنا الصليبي، ومصنف في «الغزالي والنصرانية» في جزأين برهَنَ فيه على تحليلٍ عميقٍ لكتابِ إحياءِ العلوم، ودراساتٍ نفسيةً عن معنى كلمةِ التهافُتِ في مصنفاتِ الغزالي، وابن رشد، وكتابُ العين، والآثارُ الانجيليةَ في الأدبِ الدينيِّ الإسلاميِّ، والأثرَ الإسلاميَ في الكوميديا الإلهية، وكتابَ الحيوانِ للجاحظ، والوحيَ في الإسلام، والبيانَ والتبيينَ للجاحظ، ونشرَ مجموعةً من الرسائلِ في الفلسفةِ والطبِّ والعلومِ الطبيعيةِ لابنِ باجه منها رسالةٌ في النباتِ، ونشرَ معجماً بأسماءِ النباتِ في الأندلسِ في القرنَينِ الحادي عشرَ والثاني عشرَ لمؤلفٍ مجهولٍ، ونُشر له بعد وفاته قصةُ المعراجِ والكوميديا الإلهية، وكتابُ تدبيرِ المتوحد لابن باجه.

الاركون إي سانتون (١٨٨٠-١٩٣٢م):

ولد في قرية من أعمال البستي، وتخرجَ من جامعةِ مدريدَ وتضلعَ في العربية على الأبِ أسين بالاثيوس، وكان قد عُيِّنَ أستاذاً للعربيةِ العامية في مدرسةِ التجارةِ بمالقة، وفي مدرسةِ التجارةِ ببرشلونةَ، كما عُيِّنَ أستاذاً لها في جامعةِ مدريدَ، وفي جامعةِ صلمنكةَ، وأستاذاً للعبرية في جامعةِ برشلونةَ، وفي جامعةِ مدريدِ.

آثاره: وَضَعَ مع جونثاليث بالنثية، وأويثي فهرساً للمخطوطاتِ العربيةِ والأعجميةِ في مكتبةِ جمعيةِ الأبحاثِ العلميةِ بمدريدَ، وله: النصوصُ العربيةُ والأعجميةُ المكتوبةُ بلغةِ العامةِ في مدينةِ العرائشِ، ونشرَ بمعاونة جونثاليث بالنثيةِ قطعةً من كتابِ الصلةِ لابنِ بشكوال، ولَهُ الأثرُ الإسلاميُ في الصوتيةِ الحديثةِ، وسراجُ الملوكِ للطرطوشيُ متناً وترجمةً إسبانيةً، وبمعاونةِ جارثيه دي ليناريس الوثائقَ العربيةَ الدبلوماسيةَ في محفوظاتِ مملكةِ أراغونَ

الأب موراتا (١٨٨٦-١٩٦٠م):

مديرُ مكتبةِ الأسكوريالِ سابقاً.

من آثاره: اتصالُ العقلِ الفعالِ بالإنسانِ لابنِ رشد متناً وترجمةً إسبانيةً، وفهرسَ المخطوطاتِ العربيةِ الأولى في الأسكوريال

فايكروسا: (١٨٩٧-١٩٧٠م):

عاشَ في برشلونةَ وفيها تعلمَ العربيةَ والعبريةَ، وجمعَ بينَ الدراساتِ في كلتا اللغتين، خصوصاً في الفترةِ ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ م.

وفي ميدانِ الدراساتِ العربيةِ اقتصرَ على دراسةِ تاريخِ العلومِ في الإسلام. واهتمَ خصوصاً بالمخطوطاتِ العربيةِ واللاتينيةِ والإسبانيةِ التي تندرجُ في هذا المجالِ فعكفَ على دراسةِ المخطوطاتِ الموجودةِ في «المكتبة الوطنية» في مدريدَ وفي «دار محفوظات تاج آراغون» ومقرُها في برشلونةَ.

وفي عام ١٩٣١م أصدرَ باكورةَ إنتاجِهِ بعنوان «بحثٌ في تاريخِ الآراءِ الفيزيائيةِ والرياضيةِ في قطالونيةَ في العصرِ الوسيطِ». وفيه أوضحَ أنَهُ في القرنِ العاشرِ الميلاديِّ (الرابع الهجريِّ) تمتَ ترجمةُ كثيرٍ من الكتبِ العربيةِ إلى اللغةِ اللاتينية، وعلى هذهِ الترجماتِ اعتمدَ جربرت الذي اعتلى فيما بَعْدَ عرشَ البابويةِ تحتَ اسمِ سلفستر الثاني.

وفي عام ١٩٣٦م أتم كتابَةَ أهمِ مؤلفاتِهِ وعنوانُهُ «دراساتٌ عن الزرقالي» الفلكي الأندلسي الكبير. ويُعَدُّ هذا الكتابُ من

الأعمـالِ الجليلةِ في تاريخِ علومِ الفلك عندَ العربِ.

مما تَقَدَّمَ نَجِـدُ أن المستشرقينَ الإسبانَ ساهمـوا معَ غيرهـم مـن المستشرقينَ في دراسةِ الحضارةِ العربيةِ الإسلاميةِ وفي نشرِ المخطوطاتِ العربيـةِ وترجمتها إلى اللغاتِ الأوروبيةِ. إلا أنَّ ما يميزُ أعمالَ المستشرقينَ الإسبانِ هو أنَّهـم كانوا مهتمـينَ بدراسةِ الحضـارةِ العربيـةِ الإسلاميـةِ في إسبانيا بشـكلٍ خاصٍ وتحقيقٍ وترجمـةٍ ونشرِ كتبِ العلماءِ العربِ والمسلمـين الذين عاشوا في الأندلسِ على وجهِ الخصوصِ، وإنَّ حالةَ الفصامِ التي كانَ يعيشُها بعضُ المستشرقينَ الإسبـانِ لم يقف حائـلاً في أنْ يقدمَ هؤلاء المستشرقينَ للعالمِ بعضَ كنوزِ المعرفةِ العربيةِ الإسلاميةِ التي نشأتْ في الأندلس وامتدتْ شعلتُهـا لتنيرَ عدداً من العواصـم الثقافيةِ الأوروبيةِ ولتساهمَ وتعجل في ظهورِ النهضةِ الأوروبيةِ.

١- **فرديناند وإيزابيلا**: ملـكا أراغون وقشتالـة وهما اللـذان هزمـا آخر ملوك المسلمين (أبـو عبد الله) محمد الثاني عشر في كانون الثـاني ١٤٩٢ ودخلا غرناطة في السادس من الشهر نفسه. وبذلك تم لهذين الملكين الكاثوليكيين السيطرة على الأندلس وفي عهدهمـا تم طرد المسلمين واليهود من الأندلس أو تنصيرهم قسرياً بمعرفة محاكم التفتيش.

٢- **مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥م)**: ولـد في جنـوب غرب فرنسـا بالقرب من مدينة بـوردو، وكان منـذ بداية حياتـه الفكرية مستنيراً وصدر أول كتاب له بعنوان الرسائل الفارسية عام ١٧٢١م وقد نشر كتابه الكبير هذا على هيئة رسائل كتبها أمراء فارسيون. ومن خلالهـم راح مونتسكيـو ينتقد بشكل هجائي لاذع العـادات الفرنسية والتعصب الديني السائد في عهـد لويس الرابع عشر وخلفه لويـس الخامس عشـر. والواقع أن كتـاب مونتسكيو دشـن الـروح السياسية للعصـور الحديثة مثلما فعل كتاب روسو في العقـد الاجتماعي. وكان كلاهمـا ذا تأثير حاسم على الثورة الفرنسية وقادتها.

٣- **جـورج فيلهلم فريدريش هيجـل (١٧٧٠-١٨٣١م)**: فيلسـوف ألمـاني ولـد في شتوتغارت. ويعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان الذين أسسوا حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وتقوم فلسفة هيجل المثالية على اعتبار أن الوعي سابق للمادة بينمـا تقوم النظرية الماركسية على اعتبـار أن المادة سابقـة للوعي. ومن أعماله: المدخل إلى علم الجمال، محاضرات

في تاريخ فلسفة، محاضرات في فلسفة التاريخ.

٤- **جون ستيوارت ميل(١٨٠٦-١٨٧٣م)**: فيلسوف واقتصادي بريطاني، ولد في لندن عام ١٨٠٦م، وهو من رواد الفلسفة الليبرالية، وقد نشر ميل خلال أربع عشرة سنة العديد من المقالات والكتب، تناول فيها بالبحث قضايا فلسفية وسياسية واقتصادية.

٥- **كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م)**: فيلسوف ألمانيّ، سياسي، وصحفي، ومنظّرٌ اجتماعي. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية. وقام بكتابة الكثير من المؤلفات التي تعنى بالسياسة والاقتصاد. وتضمن هذا كتابه الأروع (رأس المال) في أجزائه الثلاثة والذي نشره انغلس سنة ١٨٨٥م.

٦- **يطلق لقب الموريسكيين على مسلمي إسبانيا بعد سقوط الحكم الإسلامي**. وأما كلمة مورو Moro فتطلق على جميع سكان الأندلس من المسلمين قبل زوال الحكم الإسلامي، ومن المرجح أنها أتت من (الموريتاني) لأن أغلب المحاربين المسلمين وإبان فتح الأندلس كانوا آتين من شمال أفريقيا.

٧- **ريمون مينينديث بيدال (١٨٦٩-١٩٦٨م)**: مؤرخ وعالم بفقه اللغة الإسبانية، انتخب عام ١٩٢٥م مديراً للأكاديمية الملكية الإسبانية.

٨- **خوان ايجنيو هارتزنبوخ (١٨٠٦-١٨٨٠م)**: كاتب مسرحي إسباني، وكان مديراً للمكتبة الوطنية في إسبانيا. كتاباته المسرحية الأولى كانت ترجمات لموليير وفولتير وألكسندر دوماس ثم انتقل إلى المسرحيات الإسبانية.

٩- **بيدرودي ألكالاغاليلو (١٧٦٠-١٨٠٥م)**: مستشرق إسباني قام بالتقريب بين المسلمين وبين النصارى في مملكة غرناطة سنة ١٤٩٩م. من آثاره: معجم عربي قشتالي والمعجم السليم لتعليم اللغة العربية، وصلوات القداس بالعربية.

١٠- **رامون كامبوآمور كامبو سوريو (١٨١٧-١٩٠١)**: شاعر وفيلسوف إسباني.

١١- **شاتوبريان (١٧٦٨-١٨٤٧م)**: مفكر وسياسي فرنسي عرف برحلاته المتعددة، من مؤلفاته الهامة كتابه «المسار من باريس إلى القدس» تحدث فيه عن زيارته لبيت لحم ويافا والقدس ومصر وتونس، وفي مقدمة كتابه هذا يذكر أن رحلاته إلى تلك المناطق ما هي إلا نوع من الحج إلى مهد الحضارات القديمة.

١٢- **أسرة بني سراج:** أسرة نبيلة عاشت في غرناطة وهناك من يزعم بأن القضاء عليها والوقيعة بها قد تم بأمر من أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة.

١٣- **أميريكو كاسترو:** مستشرق إسباني من آثاره إسبانيا في تاريخها (نصارى وعرب ويهود)، نشر في بونيس آيرس سنة ١٩٤٨م.

١٤- **ليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٦م):** من أبرز المستشرقين الفرنسيين ويعتبر من قادة حركة الاستشراق في فرنسا وأوروبة. وكان ذا دوافع علمية بحتة ومن المنصفين للثقافة والحضارة العربية وكان مهتماً بدراسة الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس على وجه الخصوص. تخرج على يديه عدد كبير من المستشرقين الأفذاذ.

أهم المراجع

١- أبو زيدون وديع، تاريخ الأندلس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - بيروت، ٢٠٠٥م.

٢- بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ط١ ١٩٨٤م.

٣- بوز فارس، تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة – منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٠م.

٤- الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي، دار القلم دمشق، ط٤، ١٩٩٤م.

٥- حتي فيليب، جرجي إدوارد، جبور جبرائيل، تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.

٦- ديورانت ول، قصة الحضارة.

٧- سعيد، إدوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي حديدي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٦م.

٨- سخيطة بسام، قصة محاكم التفتيش في العالم دار هيا للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.

٩- غارودي روجيه، نحو حرب دينية وجدل العصر، ترجمة صياح الجهيّم، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦م.

١٠- غارودي، روجيه، من أجل حوار بين الحضارات، ترجمة ونشر الدكتور ذوقان قرقوط، دار النفائس - بيروت.

١١- غويتسولو خوان، في الاستشراق الإسباني، تعريب كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢- فروخ عمر ومصطفى الخالدي: التبشير والاستعمار في البلاد العربية – المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٨٢م.

١٣- قباني رنا، أساطير أوروبة عن الشرق، لفق تسد، ترجمة صباح قباني، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٣م.

١٤- مروة حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ج١، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٨م.

١٥- الموسوي محسن جاسم، الاستشراق في الفكر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٦- هازار بول، الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر ترجمة محمد غلاب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ٢٠٠٤م.

١٧- هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، «أثر الحضارة العربية في أوروبة» ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٦ ١٩٨١م.

18- Said Edward, Oriantalism, Ventage books, a division of random house, Newyork,1979.